CC BY

College of Basic Education Research Journal

www.berj.mosuljournals.com

Cultural references and Islamic motives in Imad al-Din Khalil's plays

Rahma Muayyad Hamouda
proof. Dr. Ishtar Daoud Muhammad

Article Information

Article history:
Received: March 1,2022
Reviewer: March 28,2022
Accepted: March 28,2022
Available online

Keywords:

Correspondence:

Abstract

The Study of reference scholars has a great importantance in seeking the text's depths . This helps understand what the writer means and Wants to reach through perceiving the influence he-she has on others . The reference scholars grant the writer the notion that enriches him – her with culture .

Imadaldeen Khalil was given the method and lifestyle through Islam and he functioned it in history depending on his passion that enabled him to guide this interest to be a professional writer and expert in Islamic history and literature .

The experience and passion made lmadaldeen Khalil find out the objective and made him have a comprehensive vision in things and referred to him in this study to be of great capacity .

In this way , he relied on Islamic history to establish his two plays .

ISSN: 1992 – 7452

المرجعيات الثقافية والبواعث الإسلامية في مسرحيات عماد الدين خليل

رحمة مؤيد حمودات عشتار داود محمد

« ملخص البحث »

لدراسة المرجعيات أهمية كبيرة في سبر أغوار النص , فهي تعيننا على فهم ما يقصده الكاتب وما يسعى للوصول إليه , في معرفة ما أثر فيه , إذ تمنح المرجعيات الكاتب الفكرة وتثريه بالثقافة .

ومُنح عماد الدين خليل المنهج من خلال الإسلام ووظّفه في التاريخ بالإعتماد على شغفه به , مما أعانه على توجيه هذا الإهتمام إلى أن يكون ذا باعٍ في التاريخ الإسلامي , وكاتباً متمكناً في الأدب الإسلامي , بما تقلده من أدوات وما أظهره من ميول , ليجد في التاريخ الإسلامي ضالته , ومكنه ذلك من الرؤية الشاملة للأمور , فخصه بالدراسة لما وجد فيه من سعة , لذا استند على التاريخ الإسلامي في بناء مسرحيته .

المرجعيات الثقافية والبواعث الإسلامية في مسرحيات عماد الدين خليل

الثقافة لغةً : من مادة (ثقف) والتي لها دلالات مختلفة في اللغة منها : " التقويم، والإدراك، والحذق، فيقال: ثقّفَ الشيءُ: أقامَ المعوجّ ، ومنه: ثقّفت الرمح ، أي أقمت المعوجّ منه، وسويته"[١].

والثقاف والمثقف: " أداة من خشب أو حديد تقوم بها الرماح لتستوي وتعتدل. والمعنى الثاني لمادة (ثقف): الإدراك والملاقاة وجهاً لوجه."[٢]

أما الثقافة إصطلاحاً فهي " ذلك الكم المعقد الذي يحتوي على المعلومات والمعتقدات والفنون والقيم والقوانين والعادات والإمكانات ، أو عادات يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع "[٣] ، أما في الثقافة الإسلامية فتعني بمختصر القول :" مجموعة المعارف والمعلومات النظرية، والخبرات

---

[١] لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، لبنان , بيروت , ط٦ , ١٩٩٧م , مادة (ثقف) : ١٩/٩.

[٢] المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق : مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز , مكتبة نزار مصطفى الباز , المملكة العربية السعودية , د.ت ، مادة (ثقف) : ١٠٧.

[٣] مقدمة في الأنتروبولجيات الإجتماعية , لويس مير , ترجمة : شاكر مصطفى سليم , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد, ١٩٨٣م : ١٧

العلمية المستمدة من القرآن الكريم والسّنة النبوية ، التي يكتسبها الإنسان ، ويحدد على ضوءه طريقة تفكيره ، ومنهج سلوكه في الحياة "[١].

ويختلف مصطلح (الثقافة) عن مصطلح (المعرفة) التي تعني : " صورة لما يجري في العالم من وقائع وأحداث ، فالحقائق الخارجية هي بمثابة الأصل ، ومعرفتي إيّاها بمثابة الصورة"[٢]. فنستدل من ذلك أن المعرفة هي جزء من الثقافة المتحصلة التي لا يمكن لها أن تكون من دون الثقافة أو مجموعها .

أما المرجعيات لغةً : فهي من الأصل اللغوي " رجع ، يرجع ، رجعاً ، ورجوعاً ، ورُجعى ورجعاناً ومرجعاً ومرجعة بمعنى انصرف "[٣] ، فمعناه المعجمي يدور حول الرجوع والمآل .

أما اصطلاحاً فهو : حقيقة تكون غير لسانيّة تستدعيها علامة ما[٤] ، والمرجعية : هي جميع ما من شأنه أن يُعدّ منبعاً ثقافيّاً كان أم فكرياً ، لجميع ما يُكتب ويلفظ ، بل إنه يأتي منساباً مع خطاب الأديب أو الكاتب يستدعيه مع استدعائه للمعاني فيندمج معها مكوناً خطاباً جديداً موحداً مؤثراً بقوة في المتلقي ، " فتكون مرجعية الأديب بضوء تفاعله وتداخل خطابه مع خطاب ديني أو ثقافي أو أسطوري أو تاريخي في ذاكرته سواءً أكان سابقاً عليه أو معاصراً له "[٥].

---

[١] الثقافة الإسلامية ، تعريفها ، مصادرها ، مجالاتها ، تحدياتها ، أ. د. مصطفى مسلم ، أ.د. فتحي محمد الزغبي ، دار إثراء للنشر والتوزيع ، الأردن , ط١ , د.ت : ١٨.

[٢] نظرية المعرفة ، زكي نجيب محمود ، مؤسسة هنداوي ، سي آي سي ، المملكة المتحدة , ط١ , (د.ت) : ١٣.

[٣] لسان العرب , مادة (رجع) : ١٠/ ٥٠ .

[٤] ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة , د.سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان , بيروت , ط١، ١٩٨٥م:٩٧.

[٥] المرجعيات الثقافية في شعر ابن الأبار القضاعي الأندلسي ، رسالة ماجستير ، إعداد : سارة محمد اتويه اللامي ، إشراف : أ.د. عبد الحسين الربيعي ، جامعة ميسان ، كلية التربية ، قسم اللغة العربية , ٢٠١٩م : ٣.

تتطلب دراسة المرجعيات الثقافية وفهمها في أنساقها وسياقاتها الوقوف على المنطلقات التي تبدت منها إذ " يكشف المسار الخاص لتطور الثقافة العربية الحديثة ، صورة شديدة التعقيد تتضارب فيها التصورات و الرؤى و المناهج و المفاهيم و المرجعيات"[١].

وعماد الدين خليل شخصية متعددة الميول ويعد (التاريخ الإسلامي) أهم مرجعية لدى كاتبنا, وتقوم عليها المسرحيتان .

لقد منح الإسلام لعماد الدين خليل القدرة على الرؤية الشاملة للأمور التي استوعبت كثيراً ، فكان القرآن الكريم هو المرجع الأول الذي وهبه الفكرة والقدرة على التعبير إذ أنّ " رؤيته للأحداث رؤية واقعية شاملة في امتداداتها الزمنية الماضية والحاضرة والمستقبلة "[٢] , فهو يجد في الإسلام ضرورة عقدية , وأخرى إنسانية , وثالثة حضارية , ثم ضرورة علمية[٣] , ويؤمن إيماناً لاشك فيه أن معطيات العلم والقرآن الكريم تتعانق ولا تتضاد أبداً لأن مردها واحد هو الله جل وعلا , ويجد أن الإنطلاقة الحقيقية في فهم هذا الكون إنما تبدأ من فهم الدين في إطار تعاليم القرآن الكريم والسنة وشرائعهما , وهو ما ساعده على أن يرسخ رسالته ويضمنها في كتاباته ما يكشف تأثره الكبير في المسرحيتين .

ويجد في جانب مهم يرى أن فحص طبيعة العلاقة بين القرآن وفهم هذا الكون سيكون بمثابة الكشاف الذي يستطيع منه تجاوز حدود المصادر إلى ساحة الكشف , فالقرآن " يعرض تصوراً شاملاً للكون والإنسان والحياة لا يعرضه كتاب آخر في الأرض بمثل هذا الشمول والإحاطة , وبمثل هذه

---

[١] الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة ، د.عبدالله إبراهيم ، الدار العربية للعلوم – ناشرون , المغرب , الرباط , ط١،٢٠١٠م :٩.

[٢] التفسير الإسلامي للتاريخ , عماد الدين خليل , دار العلم للملايين , لبنان , بيروت , ط٥ , ١٩٩١م : ١١

[٣] ينظر : مدخل إلى إسلامية المعرفة , عماد الدين خليل , دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع , دمشق , بيروت , ط١ , ٢٠٠٦م : ١٧ – ٢٢

السهولة والوضوح , وهذا التصور هو الذخيرة الموضوعية للفن وهو نماذج من الأغراض الأدبية والأداء الفني ... فهو دستور كامل أي منهج من يريد أن يعبر عن الحياة بتصور إسلامي"[١]

وربما يكون الإطلاع على المرجعيات التي انطلق منها الكاتب في الفضاء القرآني هو ما مكنه من الإستشهاد بآيات الكتاب العزيز كثيراً في كتاباته مثل رؤية إسلامية في قضايا معاصرة . " ويمكن أن تصنف كتاباته جميعاً ضمن إطار صياغة العقل المسلم , حيث امتلك من الصفات والمزايا إلى جانب طبيعة التخصص العلمي ما يؤهله للعطاء في مثل هذا الموقع , وكأنّ بين مزاياه الشخصية وتخصصه قواعدَ والتقاء "[٢] . ولما جعله شغوفاً بالتاريخ وقراءته ودراسته , وسلك في التاريخ مسلكاً في التخصص الأكاديمي وتأليف الكتب .

وبدأ ينصب اهتمامه بهذه الطريقة في التاريخ , الذي عرّفه بأنه " محاولة للبحث عن الذات , للعثور على الهوية الضائعة في هذا العالم , للتجذر في الخصائص وتعميق الملامح والخصوصيات . إنه بشكل من الأشكال محاولة لوضع اليد على نقاط التألق والمعطيات الإنسانية والرصيد الحضاري "[٣] , فهو وسيلة الإنسان ليحيا حراً , طليقاً , يعرف من هو وما له وما عليه .

وقد خص التاريخ الإسلامي بالدراسة فوجده " يختلف عن غيره أساساً لأنه يمثل أوسع وأعمق تعبير عن تاريخ ينبثق عن دين عظيم وعن حضارة يبعثها لقاء خلاّق بين قوى السماء والأرض "[٤].

ولا غرابة فهو ينطلق من فهم عميق للدين تمكن منه وأحسن فيه , ودراسة التاريخ التي يدعو إليها دائماً تنطوي على قصدية بعيدة المدى بوصفه " ليس مهمة بحثية صرفة (...) , فضلاً عن أنه

---

[١] منهج الفن الإسلامي , محمد قطب , دار الشروق , لبنان , بيروت , ط ٦ , ١٩٨٣م : ١٣٧ – ١٣٨

[٢] حول إعادة تشكيل العقل المسلم , عماد الدين خليل , كتاب الأمة , الدوحة , ط١ , ١٩٨٣م : ١٨

[٣] مدخل إلى الحضارة الإسلامية , عماد الدين خليل , الدار العربية للعلوم – ناشرون , لبنان , بيروت , ط١ , ٢٠٠٥م:٣

[٤] في التاريخ الإسلامي , فصول في المنهج والتحليل , عماد الدين خليل , المكتب الإسلامي , سورية , دمشق , ط١ , ١٩٨١م : ٢٠٦

ليس مجرد محاولة للتعلق بأمجاد الماضي وإغفال تحديات الحاضر ومطالب المستقبل"[١] , وإنما هو وسيلة لدراسة الحاضر , وفهم المستقبل , ولأنّ التاريخ يعيد نفسه فلابد من التحصن لتصويب الأخطاء , فهو قادر على بناء هيكلية الإنسان وإعادة المفاهيم لمسارها الصحيح . لذا فهو يرى أن إضفاء الخصوصية على درس التاريخ والإهتمام به أمر مهم ، لأن الغرض منه " هو تخريج مثقفين معتزين بتاريخهم وأمتهم وحضارتهم , شاعرين في قرارة نفوسهم بالإستعلاء الثقافي والحضاري على بقية الأمم والتواريخ والحضارات , ولاسيما وأن الشرق عامة والأمة الإسلامية خاصة , تمثل في حضارتها لقاءات معطاءة بين السماء والأرض "[٢] .

ويجد أن صفات المؤرخ تتحدد في " القدرة على التحليل والمقارنة , وربط الجزئيات في أطر كلية وتشكيلات موحدة في طبيعتها ودوافعها وأهدافها , الرؤية الواسعة لما يجري على سطح الأرض من أفعال وأحداث ولما ينتج عن نشاط الإنسان من معطيات , ومن ثم يتيح له – هذا التخصص – أن يصل بسهولة إلى تفسير مقنع للتاريخ "[٣] , ولكي يؤدي دوره الحاسم لابد أن يستكمل شرطين أساسيين : " أحدهما يتعلق بتكوينه الذاتي الخاص , والآخر بالعالم الذي يضطرب فيه عبر دوائره التي تبدأ بعلاقاته الضيقة ثم تتسع عبر الاقليم والوطن والجماعة والشعب والأمة لكي تشمل العالم كله "[٤].

---

[١] دليل التاريخ والحضارة الإسلامية في الأحاديث النبوية , عماد الدين خليل وحسن الرزو , دار الرازي , الأردن , عمان , ط١ , ٢٠٠٤م : ٥

[٢] في التاريخ الإسلامي , فصول في المنهج والتحليل : ١٩٦

[٣] م.ن : ١٩٢

[٤] دراسة في السيرة , عماد الدين خليل , مؤسسة الرسالة ودار النفائس , لبنان , بيروت , ط١ , ١٩٧٤م : ٤٦

ورؤية الإسلام للتاريخ فيها شيء من الاختلاف , فهو يدعو لدراسة التاريخ لمعرفة القوانين التي يسير فيها الكون , فهو بمثابة درس للإفادة منه , فالتاريخ " دعوة لإكتشاف قوانين الحركة والتوافق معها , ليس مع حركة التاريخ فحسب , ولكن مع نواميس الكون والعالم نفسه "[١]

لقد تناول كثير من الدارسين التراث والحداثة في دراسة التاريخ , كان بعضهم من جماعة الأول وآخرين من الثاني ، وموقف كاتبنا من ذلك هو التوسط , لذا فهو يدعو الأديب إلى أن "يتحرك ويكسر جدار الزمن , ويصل بين الماضي والحاضر , بين التاريخ والواقع , لكي يمنحنا من خلال إبداعه الأدبي , القيم الكبيرة التي تمكننا من تأصيل شخصيتنا , وحماية ذاتنا الحضارية في مواجهة غزو فكري لن يلقي سلاحه قبل أن يمحو هذه الشخصية محواً "[٢]

تتطلب دراسة التاريخ الإسلامي ضمن قصدية الكاتب النظر في التوجيه القصدي الذي اضطلع به الكاتب في تسخير المرجع التاريخي .

١- مسرحية الهم الكبير :

قبل عرض نماذجَ من نصوص المسرحية , أود القول أن مسرحية (الهم الكبير) جعلت فكري يعود لأبعد من ذلك قليلاً :

إذ وُلد الناصر صلاح الدين الأيوبي في مدينة تكريت العراقية , وقد توافق ذلك مع هجرة أسرته إلى الموصل , وبقيت تحت حماية عماد الدين زنكي , وتقربت منه , واستمر الأمر على حاله حتى عهد أولاد صلاح الدين .

---

[١] مؤشرات إسلامية في زمن السرعة , عماد الدين خليل , مؤسسة الرسالة , لبنان , بيروت , ط١ , ١٩٨٥م : ٢٠

[٢] مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي , د.عماد الدين خليل , دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع , لبنان , بيروت , ط ١ , ٢٠٠٧م : ١٧٠

ودارت على يد صلاح الدين الأيوبي دارت الكثير من المعارك , التي انتصر فيها المسلمون إذ هزموا جيوش الفرنجة وغيرها , محررين بذلك القدس والشام واليمن .

يقودني ذلك إلى سؤال , لماذا اختار عماد الدين خليل تحرير بيت المقدس بالذات ؟ لِمَ لم يذكر أياً من المعارك الأخرى غيرها ؟

في البداية يجب أن نعلم أن الكاتب متأثر جداً بالقضية الفلسطينية والعراقية , ولشدة ما أرقه أمرهما كان يبحث دائماً عن ربط بينهما , فأراد في المسرحية أن يصل فكرة مفادها أن الحدود وهمية لا وجود لها في وجدان الأمة , ويجمع أن العراق وفلسطين هم واحد , هو الهم الكبير , ولا يحرر الأمة غير أبنائها , ممن لديهم القدرة على بذل الغالي للسمو بها ورفعتها .

" – الراوي : ... تعيدني بين لحظة وأخرى إلى نقطة البداية المشؤومة تلك .. لكنني أبذل جهداً مضاعفاً للفكاك من الأسر والإيغال في الزمن .. فثمة دائماً الأمل بحدوث شيء ما .. ثمة وعدالله .. فلم يعرف التاريخ يوماً الحران على السكون .. ولن تتأبد حالة من حالاته مهما كانت ثقيلة الوطأة , متجذرة في العنف والهمجية , فلا تتبدل أو تزول .. تلك هي سنة الله في العالم .. ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ ﴾[1] "[2] .

لقد أشار الكاتب بالآية القرآنية إلى معركة أحد[3] التي خسر فيها المسلمون ولم يصبروا حتى يأتيهم أمر رسول الله (ﷺ) فبقي واحد منهم وذهب جهده هباءً , لكن المفارقة أن يوم أحد كانت

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٤٠

[2] الهم الكبير , عماد الدين خليل , دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع , سورية , دمشق , ط١ , ٢٠٠٨م: ١٧

[3] ينظر : تفسير الطبري , جامع البيان عن تأويل آي القرآن , تحقيق : د. بشار عواد معروف , وعصام فارس الحرستاني , مؤسسة الرسالة , لبنان , بيروت , ط١ , ١٩٩٤م : ٣٣٤

الخسارة إثر خطأ في التنفيذ مع وجود قائد يُعتمد عليه وتحتشد في فلسطين الأحداث كلها ولا قائد يتكل عليه الناس ! ساقها الكاتب من خلال ذكر قصة والد صلاح الدين وتقربه من نورالدين زنكي وعقب سنوات تقرب صلاح الدين من محمود بن نورالدين فاعتمد عليه في الحروب كثيراً وخلال رحلتهم الطويلة كثيراً ما مروا بحالة سقوط وقيام وأخذوا عن ذلك الدرس ولذا قامت حضارتهم .

وقد ذكر الآية القرآنية التي فيها إشارة إلى تكرار سنن الله في خلقه , وهي إشارة واضحة إلى التوجيه القصدي الذي أراده الكاتب من سحب الدلالة التاريخية إلى العصر الحديث فقد تبدلت أحوال كثيرة , انقلب بعضها رأساً على عقب وأخرى لم يعد لها وجود , هكذا هي سنة الحياة , كذلك الأنظمة السياسية عانت منها شعوبها ولم تقدم لها شيئاً يُذكر والحال في فلسطين لم يختلف , تبدلت سياسات وجاءت أخرى حلّت محلها , لكنها لم تفعل شيئاً إزاء ما يحدث في المسجد الأقصى من انتهاكات وتعدٍ على الناس بأخذ حقوقها أو أبنائها وزجهم في غياهب السجون . ولم تبقَ لهم قوةً حقيقيةً غير القوى الذاتية البسيطة التي يعتمدون عليها .

بعد إنتهاء معركة حطين مباشرة , يسأل صلاح الدين الأيوبي عن أرناط (أمير صليبي , كان المسؤول عن حصن الكرك) , فيجيبه مظفر الدين : " لقد تم إلقاء القبض عليه وهو يحاول الفرار ..

– صلاح الدين : كنت أتصوره في عداد القتلى ..

– مظفر الدين : إنه محتجز في الخيمة المجاورة حتى ترى فيه رأيك .

– صلاح الدين الأيوبي : سأرسل في طلبه بعد قليل (يرتل مع نفسه) : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[١] "[٢]

لقد حاول الكاتب أن يسوق الفكرة من المسرحية بعد إعتقال أرناط قائد الفرنجة الذي أوقع بجيش الناصر قبل ذلك , وما أشبه الأحداث عندما تتكرر وما أغرب الناس عندما لا تأخذ العبر بل تعيدها مرات أخر .

لقد حاول الصهاينة بانتهاك حرمة المسجد الأقصى أن يزرعوا أخباراً مظللة ليضرب سكان المدن الفلسطينية بعضهم بعضاً , فكان هدفهم فيها أن تشب حرباً أهليةً بين الفلسطينيين , حتى تصير ضربتهم مضاعفة , فيستعيدوا معبدهم المزعوم ويوقعوا بفلسطين كلها حتى تصير لهم بالكامل , ولا عجب في ذلك فهذا هو ديدنهم وهذا ما انطبعوا عليه .

فحذرهم الكاتب بطريقته فاقتبس الآية الكريمة التي نزلت في بني خزاعة وبكر وحاولت قريش أن توقع بينهم وبين النبي (ﷺ) بعد أن صارت خزاعة في حلف مع المسلمين فكان نتيجة ذلك معركة بينهم[٣] .

بعد اعتقال ارناط , واكتشافهم أمر خيانته لمسؤوله , يتوسل للناصر صلاح الدين الأيوبي بأن يفرجوا عنه , فيجيبه الناصر : " لست أنت الذي تقنعهم .. ولكنه منطق القوة .. قانونها الذي جئتم

---

[١] سورة التوبة : الآية ١٤

[٢] الهم الكبير : ١٠٧

[٣] ينظر : أسباب النزول المسمى (لباب النقول في أسباب النزول) , جلال الدين أبي عبدالرحمن السيوطي , مؤسسة الكتب الثقافية , لبنان , بيروت , ط١ , ٢٠٠٢م : ١٣٢

به ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى ﴾[١].. ثم إنك لم تعد شيئاً لكي تنفذ عملاً ذا قيمة ... "[٢]

تأثر الكاتب بالوضع السياسي كثيراً الذي كان في فلسطين من اعتداءات اسرائيلية على الناس وانتهاك حرمة المسجد الأقصى – في السنة نفسها التي كتب فيها المسرحية – مما جعله يستشهد بالآية الكريمة في هذا الموضع، ليفيد من البعد التاريخي للآية وهو سبب نزولها الذي وجهه توجيهاً قصدياً وعندما جاء النبي وأصحابه لأداء العمرة ومنعهم المشركون ولاشك في أن الأمر كان له وقع في نفس النبي وأصحابه، فنصره الله وأعاده لأداء العمرة في الشهر نفسه الذي ردوه فيه[٣] , وفي ذلك إبرار لمبدأ المكافأة بالمثل , وكأنّ الكاتب كان يقصده , فأراد القول أن لا طريق للتخاذل أو التراجع , هذه المرة لا خيار غير القوة ، وإن كان غير حاضر أدبياً في مواقف أخرى , لكنه حضر في هذه الحادثة , وكيف لا يحضر والقضية هنا هي قضية أمة بأكملها، فهي قضية المسجد الأقصى .وهي حقيقة أراد إبرازها في المسرحية من خلال موقف الناصر صلاح الدين عندما وقع قائد الفرنجة بين يديه، فقد كان قبلاً قد حُكم عليه لما بدر منه من نقض للعهد وحقد في معاملة المسلمين بالقتل المباشر، وقتل قائد الفرنجة بالفعل في حين عفا الناصر عن بقية الأسرى شرط دفع جزية زهيدة التزموا بها فيما بعد .

---

[١] سورة البقرة الآية ١٩٤

[٢] الهم الكبير : ١١٢

[٣] ينظر : تفسير الطبري: ٥٢١١١ , ٥٢٢

"...أصيب أخوه (نصرة الدين) في حصار بانياس عام ستين وخمسمئة بسهم أذهب إحدى عينيه , فلما رآه نور الدين قال له : لو كشف لك من الأجر الذي أُعدّ لك لتمنيت ذهاب الأخرى!!"[١]

يستحضر الكاتب (حصار بانياس)[٢] الذي كان النصر فيه حليفاً لجيش نورالدين زنكي بعد أن أحكم سيطرته على قلعة بانياس المشهورة وفقد ابنه إحدى عينيه عدا ما عاناه الجيش من إصابات كثيرة وقعت بينهم وألم شديد أصابهم .

يكمن التوجيه القصدي في التذكير بحادثة من الماضي , لذا جاء النصر فيها بعد التضحية , وهي إشارة إلى أن الله يعطي الخير للناس حسبما تقتضيه حاجتهم لا كما يتصورونها بعقولهم البشرية حتى وإن كان الخير بهيئة (فقدان إحدى العينين) ! . وفي ذلك تثبيت لقلوب المسلمين الذين أرادوا الإنسحاب ويعد تذكيرهم بهذا الحدث بمثابة هزة تعيد ضبط بوصلتهم ليستعيدوا ما كانوا عليه , ويعزموا قوتهم من جديد طلباً للنصر .

" – صلاح الدين : هذا صحيح .. لقد اعتدناه منكم دائماً .. يبدو أنه في تاريخكم على الأقل هو القاعدة وغيره الاستثناء .. لا يهمني إن كان هذا قدركم أم لعنة حلّت بكم , ولكنني أسألك يا أرناط كيف أبحت لنفسك مهاجمة قافلة من الحجاج المسلمين وأنها ما جاءت لكي تقاتل وإنما لكي تحج إلى بيت الله .... "[٣]

---

[١] الهم الكبير : ٣٠

[٢] ينظر : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النّورية والصلاحية , شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل أبو شامة , تعليق : إبراهيم شمس الدين , دار الكتب العلمية , لبنان , بيروت , ط١ , ٢٠٠٢م : ٣١١ , ٣١٢

[٣] الهم الكبير : ١٠٩ , ١١٠

بعد أن انتهت معركة حطين وأُسر فيها أرناط (أمير الفرنجة وحامي حصن الكرك) يلتقي به الناصر صلاح الدين الأيوبي , ويعلم الأيوبي بأنه هو من نقض الهدنة (هدنة حماية الحجاج وتأمين طريقهم) "

والحقيقة أن ذكر الكاتب لهذه الحادثة أعادني بالذاكرة إلى صلح الحديبية , الصلح الذي نص على عدم تعرض قريش للمسلمين ولا لحلفائهم , وأن يتركوا العمرة هذا العام على أن يعودوا العام القادم , وبالمقابل فهدنة الناصر كانت أن يؤمّنوا للحجيج طريقهم ولا يعترضهم أحد .

وكان موقف المسلمين في الصلحين الرفض , وما دفع النبي للمضي قدماً لإبرام الصلح إيمانه العميق بوعد الله المتحقق وبُعد النظر الذي امتلكه , والناصر فالحنكة العسكرية التراكمية التي اكتسبها مع الزمن جعلته غير متوانٍ عن المضي بالهدنة .

لذا تبرز النظرة العميقة للأمر , والثقة بالله , بالإمكانيات التي امتلكها الجيش حتى حققوا النصر.

" – صلاح الدين : إنهم يذكرونني أيها الملك بما فعله أصحاب رسول الله (ﷺ) يوم الأحزاب .. "[1]

يستحضر كاتبنا حدثاً تاريخياً مرة أخرى , وهذه المرة غزوة الأحزاب أو الخندق , وإن كان إيرادها على لسان صلاح الدين متباهياً بهمة جيشه وقوة عزيمته لكننا نجد فيها جانباً آخر وهو دعوة ضمنية إلى تكاتف الصف , في الإفادة مما يوفره يوم الأحزاب من توجيه قصدي .

[1] الهم الكبير : ١٦٤

فكما شارك المهاجرون والأنصار في حفر الخندق بيد واحدة وحققوا النصر , تستطيع فئات المسلمين أن تحرز النصر مرة أخرى , ولاسيما أن ما يجمعهم هدف واحد هو (القدس) .

٢- مسرحية المغول :

لم يكن اختيار موضوع مسرحية المغول من باب المصادفة , إذ كانت معركة المغول كانت معركة أفكار , معركة البحث عن الذات والهوية , فالمغول أقوام أتت من شمال شرق آسيا , شعوب كانت متعطشة لطمس كل ماله صلة بعالم العلم والأفكار , لذا أول ما توجهوا إليه هي المكتبات , فطمسوا المَعلم الذي عُرفت به البلاد , وانتهكوا قدسية الأفكار حتى صارت ملكهم , يقررونها ويمنعونها متى شاؤوا حتى صارت ماضياً .

فلابد لنا من السؤال , ما حاجة الناس للهوية ؟ ومِمَ تتشكل الهوية ؟

إنّ " الناس بحاجة إلى هوية فهم يريدون أن يعرفوا من هم ولأية جهة ينتمون "[١] , والهوية تتجمع مكوناتها من التاريخ والثقافة والسياسة ... إلخ وتتموضع بشكل ما وقد تتجه بإتجاه معين , فتستقر برهة من الزمن وتعاود التحول من جديد , فتتموضع بما يعززها بعلامات مادية , تدل على تشكيلها وتمظهرها في وقت ومكان معينين[٢] , ومادية الهوية ليست كمادية الموجودات , بل تظهر في تأثيرها على الأفراد (في تشكيل وعيهم وميولهم وتوجهاتهم ...) , وتعتمد في وجودها على صفات

---

[١] تعايش الثقافات , مشروع مضاد لهنتنغتون , ت.هارلد موللر , ترجمة : د.ابراهيم أبو هشهش , دار الكتاب الجديد المتحدة , ط١ , ٢٠٠٥م : ٢٣

[٢] ينظر : الهويات بين التحبيك السردي والتشكيل الآيديولوجي , نادر كاظم , مجلة نزوى , عدد ٣٣ , يناير , ٢٠٠٢م : ١٠٣

تميز ما موجود (بوصفه فرداً أو جماعة) عما سواهم إذ يبقى الموجود كما هو , بإبراز ما يحد الموجود عما عداه وما يخصه ذاتياً[١] , وتنتج الهوية من إشتراك في الممارسات الإجتماعية , والعادات والتقاليد , وأخلاق مشتركة لمدة زمنية ليست بالقليلة , فتكون أمتن وشبه طبيعية , ويصير انفصالها عصيّ عن الحدوث وتصبح محلاً للتفاخر والتنافس[٢] .

لذا يتحول شعور الفرد تجاه هذه المميزات إلى حالة من الإنتماء التي تأخذ الهوية بتشكيل عناصرها (اللغة والدين والآيديولوجيا واللون والجغرافيا ....) , وقد يسيطر واحد من هذه الإنتماءات فيكون هذا الإنتماء طاغياً فيها , وقد يكون ثمة إنتماء يجمع العناصر التي تمثل الهوية, وقد تتعقد مكوناتها وتكون انتماءات متناقضة ومركبة يصعب معرفة التوجه الحقيقي للذات منها .

والسبب الآخر لاختيار الموضوع هو تقديم البطل الإسلامي – الملك الصالح ركن الدين – الذي لم يستسلم لطبول الهزيمة وهو يقول بعد ما تداول في مجلسه مع قادته :

- " **أعتقد أنّ الأمر أصبح واضحاً تماماً لقد اخترت المقاومة وهذا قراري الأخير** "[٣]

وليصوّر مصرع القائد في الموت في سبيل الله تعالى , ولو سلم أي قائد لشرط العدو لأصبح مثالاً للتضحية بل على العكس ليحل محله خليفة مسلم وينتهي أمره إلى نسيان مروّع .

---

[١] ينظر : مفهوم الهوية في المدلول الفلسفي الديني , أبو يعرب المرزوقي , مجلة الحياة الثقافية , وزارة الثقافة التونسية , العدد ١٢٥ , مايو , ٢٠٠١م : ٤

[٢] ينظر : م.ن : ٥

[٣] المغول , د.عماد الدين خليل , دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع , سورية , دمشق , ط ١ , ٢٠٠٩م : ٢٧

" بعد وصول المغول إلى بغداد , مُنع علم الدين سنجر قائد الملك الصالح من دخولها , بعد حواره مع أحد القادة وإبلاغه أن هناك مؤامرة دُبرت له يحزن حزناً شديداً ويردد : " ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾[١] "[٢]

لقد اقتبس الكاتب الفكرة من الآية التي نزلت عندما أُمر المسلمون بالقتال وهم في المدينة المنورة، إذ صاروا بمأمن عكس ما عانوه من أذى نفسي وجسدي في مكة[٣] , والقتال بلاشك مكروه , وعلى الرغم من ذلك فقد كان هو الحل .

كذلك هو الأمر مع المصاب الجلل الذي أصاب المدينة بأكملها، في العصر الحديث وليس تشابه الأحوال رهين الصدفة بالطبع وإنما ثمة قصدية عالية لوجوده , فقد حاول الكاتب أن يبعث رسالة صبر للأهالي ممن فقدوا أولادهم في الحادثة .. الأمهات الثكالى والزوجات اللواتي ينتظرن والأطفال الذين تيتموا وهم على قارعة الإنتظار، بأن الموت مصيبة , والفقد صعب لكنه قد يكون خيراً من حياة غير مناسبة ! وهي أيضاً دعوة للإيمان بالقدر خيره وشره وهي نفسها الدعوة التي آمن بها الصالح بعد منعه من دخول بغداد بعد المؤامرة التي حيكت ضده وكان يدري حينها أن ما سيعقبها ألم وهو حتماً سيكون أفضل من تسليم الموصل وإيقاعها بيد المغول .

" – الصالح : لقد قطعها (خالد بن الوليد) قبل مئات السنين وسيقطعها بعدي آخرون , إنّ تاريخ الإسلام لن يعدم الذين يتجاوزون حيثيات الزمان والمكان بحثاً عن مصائر دينهم .. "[٤]

---

[١] سورة البقرة الآية ٢١٦

[٢] المغول: ٤٤

[٣] ينظر : تفسير الطبري : ٢١٦

[٤] المغول : ٣٦

نستنتج من النص السابق أن قصة المغول لم تعد ماضياً وإنما صارت جزءاً من الحاضر من خلال التوجيه القصدي الذي تم تسخيرها له , فثمة فارق زمني بين حدوث قصة خالد بن الوليد وبين إيراده في مسرحية المغول , فلماذا يوردها الكاتب في هذا السياق ؟

لقد وردت في خضم الحديث المتباهي بما حققه من انتصارات , مما يشير إلى عقلية القائد , وعبقرية خالد في استثمار الفرص , فلم ينصاع جيش المسلمين لأمر القادة , فجاء ليسجل دوراً حيوياً يحفظ له على مدار السنين .

أجد أن ذكره في المسرحية كان تطلعاً إلى النصر نفسه الذي حققه خالد بن الوليد . إذ جاء ذكره تفاؤلاً لشدّ أزر المسلمين بأن لهم في تاريخهم أسوة حسنة وهم الأحق باتباعها .

حادثة صلب قائد الجيش علم الدين وابن الملك الطفل الصغير [١]

يقتبس الكاتب مرة أخرى الحوادث من التاريخ مشيراً هذه المرة إلى صلب المسيح[٢] , وفي المشهد الذي يصلب فيه يأخذ الشكل الذي يُعدّ أساسياً في اللاهوت , وهو معتقد رئيس لديهم , ولا يدافع المصلوب عن عقيدة وإنما هو دفاع عن الوجود .

اقتبس الكاتب وهذه الأحداث في سياق القص التاريخي لأنه لم يقف موقف المتفرج بل اشتغل على توظيفها في نسقين , الأول : ظاهر يمثل سرد الأحداث , والآخر : مضمر يعتمد على الحس باستدعائها وكأنها تتكرر مرة أخرى , وكأنّ المهزوم ينتصر مرة أخرى بهزيمته .

---

[١] ينظر : المغول : ٩٩ – ١٠٢

[٢] ينظر : المسيح عيسى بن مريم , الحقيقة الكاملة , علي محمد الصلابي , مصر , ط١ , ٢٠١٩م : ٣٤٠

وهذا السبب الذي جعل الكاتب يوردها من جديد , فكما أن الأحداث تتكرر في التاريخ مرات عديدة. الأشخاص تتكرر قصصهم فما من قصة حدثت في الماضي إلا ولها قصة شبيهة في الحاضر , وكلها تحدث بالقدر الذي كُتب لها أن تكون فيه .

النتائج :

خلص البحث إلى النتائج الآتية :

١- حاول الكاتب في موسوعيته إعادة توجيه النص القرآني بحسب الخطاب الذي تبناه , فهو يستدعي النص القرآني ويجعله دليلاً على خصوصية الأحداث التي أوردها في مسرحيته .

٢- يصل القارئ للمسرحيتين لقناعة أن الكاتب المتمكن بإمكانه الإستلهام من التاريخ مادته ويسقطها في عمل حديث .

٣- التوثيق التاريخي (للشخصيات , المعارك , الأماكن , الأحداث , ...) كان دور راسخ في إشارات متنوعة وردت كثيراً .

٤- جعل استخدام الموروث الثقافي من المسرحيتين وثائق تاريخية مثلت حقبة زمنية في تاريخ الأمة , قل الحديث عنها .

٥- تمثل حضور المرجعية الثقافية في أشكالها المختلفة بشكل كبير في التاريخ الإسلامي .

٦- شكلّت دراسة التاريخ أثراً بارزاً في البحث , لما فيه من سمات ثقافية مختلفة , ظهرت في المسرحيتين في تعاضدها مع الشخصيات .